

أهمية البحوث التربوية

من منظور الخطط التنموية

محاضرة أعتها بتكليف من

مكتب التربية العربي لدول الخليج

الدكتورة: ميثاء سالم الشامي

نائب مدير جامعة الإمارات العربية المتحدة للبحث العلمي

الناشر

مكتب التربية العربي لدول الخليج

الرياض: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

مقدمة

هدف المنهج العلمي يكاد يكون واحدا في كل العلوم وهو جمع الحقائق والمعلومات بأسلوب منضبط للإجابة عن سؤال محدد أو لاختبار فرض بعينه للإسهام في بناء النظرية العلمية أو للتعامل مع مشكلات الواقع، وبناء على ذلك فإن الاختلاف الحقيقي يكمن في الموضوع الذي تتخذه مناهج البحث محورا لها.

لا تعمل البحوث التربوية بمعزل عن التحولات المعاصرة في الاقتصاد والسياسة والمجتمع والتكنولوجيا والأيدولوجيا.

يظل الإنسان أيا كان موقعة أو جنسه هو أكثر من يتحول بهذه التحولات.

فقد آن الأوان لكي يعيد الباحثون العرب التفكير في أجندة البحوث التربوية لتشمل قضايا جديدة ربما لم تكن مطروحة بنفس الدرجة من القوة منها: العلاقة بين النظام التعليمي وسوق العمل، التعليم عن بعد، والتعليم التعاوني والذاتي، والتعليم البيئي، والتعليم مدى الحياة، وغيرها من أشكال التعليم.

مفهوم البحوث التربوية وأنواعها ومجالاتها:

يعد البحث التربوي في جوهره بحثا في العملية التربوية. ولما كان البحث في العملية التربوية يتضمن أولا تقنيات علم النفس والتربية وعلم الاجتماع والاعتبارات السيكولوجية والاجتماعية، فإن أكثر الأمثلة والتوضيحات تستمد من هذه الميادين.

العملية التربوية تشير إلى سلوك الأفراد في نظام تربوي في علاقة بهدف تعليمي قد يكون معرفيا مثل تعلم الحساب أخلاقيا كالتعاون أو العمل الجاد.

وقد يكون البحث نتيجة جهود فرد واحد أو مجموعة من الأفراد أو يكون مسؤولية هيئة من الهيئات أو منظمة من المنظمات.

وفي كل الأحوال يكون هدف البحث دائما توسيع نطاق المعرفة البشرية وتنميتها.

والبحث التربوي باعتباره جزءا من البحث العلمي والجامعي يسهم في نشر المعرفة، ويتمثل ذلك في توفير مادة التدريس والتدريب، وتنمية المعرفة ويتمثل ذلك في إنتاج البحوث التي تضيف الجديد إلى ميدان التربية، ثم تطبيق المعرفة ويتمثل ذلك خدمة البحوث التربوية للمؤسسات التعليمية ووضع الحلول للمشكلات التربوية المطروحة على الساحة التعليمية والتربوية.

ولعل من أهم ما يسعى البحث التربوي إلى تحقيقه تغيير الذهنية لدى القيادات التعليمية لتأخذ بمفاهيم حديثة، مثل: تعدد الرؤى، والانفتاح الثقافي والتكنولوجي المتقدمة، والتعليم للحياة وليس لامتحانات، وتنمية الفكر قبل التحصيل، وتنوع مصادر التعلم الذاتي.

أنواع البحوث التربوية:

يمكن تقسيم البحث التربوي إلى ثلاثة أنواع من البحوث: البحث الأساسي

أو النظري **Basic Research**، والبحث التطبيقي **Applied Research**

والبحث الموقفي **Action Research**.

إن البحث الأساسي كما أشرنا يعني تطوير النظرية والأسس العلمية والتي ليس لها غرض عملي في حد ذاته. ويندرج تحت هذا البحث نظريات التعليم مثل: الشرطية أو المجالية أو السلوكية.

البحث الأساسي:

يطلق على البحث الأساسي عادة أسماء مختلفة منها البحث النظري أو البحث الأولي أو البحث البحت.

وبصرف النظر عن تعدد مسميات البحث الأساسي فإنه يهدف إلى التوصل إلى الحقائق أو المبادئ الرئيسية والكشف عن النظريات والأصول التي تحكم العملية التربوية.

وهو بهذا يهدف إلى تنمية الأفكار والمفاهيم ويعني بالأسس النظرية، وتنمية النظرية التربوية وتطويرها، وليس بالأمور التطبيقية أي تطبيق النتائج التي يتوصل إليها على الميدان التربوي.

البحث التطبيقي:

يطلق على البحث التطبيقي – أيضا – البحث الميداني وهو يعني بصورة رئيسة بتحديد العلاقات بين الظواهر التربوية واكتشافها واختبار النظريات والفروض. ولذلك فإن من أهم أهداف البحث التطبيقي هو تطبيق واستخدام النتائج العلمية على الميدان التربوي، وتحسين استخدام الممارسات والوسائل والطرق المتبعة. كما أن البحث التطبيقي يهدف إلى التوصل إلى نوع من التعميم؛ بمعنى تعميم النتائج التي استخلصت من عينة أخرى أكبر وأشمل.

البحث الموقفي:

يتضمن البحث الموقفي تطبيق خطوات الطريقة العلمية على مشكلات التعليم المدرسي.

ويستخدم البحث الموقفي – عادة – أعلى درجة من الواقعية وأقل درجة من الضبط والدقة العلمية.

وكثير من البحوث الموقفية تجرى في حجرة دراسية واحدة ويقوم بالبحث مدرس واحد وإن كان من الممكن أن يقوم بالبحث الموقفي أكثر من مدرس وفي أكثر من فصل.

وهو بهذا يهدف أساسا إلى تنمية المعلمين وتدريبهم في أثناء عملهم.
إن البحث الموقفي يركز على مشكلات الفصول الدراسية أكثر من تركيزه في الحصول
على معلومات علمية تعين علم التربية.

تصنيفات أخرى للبحث التربوي:

يذكر جلبرت ساكس في كتابه "أصول البحث التربوي" ثلاثة أنواع من البحوث هي
البحث التحليلي والوصفي والتجريبي ..

أما البحث التحليلي فهدفه الوصول إلى تحديد العلاقات التي تحكم ظاهرة ما على أساس
استقرائي، وهو يستخدم في ذلك الطرق الاستقرائية والرياضية والتاريخية والفلسفية
اللغوية.

أما البحث الوصفي فهدفه وصف الظاهرة أو الأوضاع القائمة بالفعل وهو يستخدم طرقا
متعددة منها طريقة المسح ودراسة الحالة والملاحظة المباشرة.

أما البحث التجريبي فهدفه البحث في العلاقات السببية التي تحكم الظاهرة، وهو يستخدم
طريقة الضبط التجريبي من خلال وجود مجموعتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة.

ونستطيع من خلال ما سبق أن نبين مراحل تطور البحث التربوي الذي مر بثلاث
مراحل رئيسية هي:

أ) المرحلة الأولى (١٩٢٠ م): تتميز هذه الفترة باكتشاف أدوات القياس التي يحتاج
إليها الباحثون في ميدان التربية: كما شهدت هذه الفترة تطورا لأدوات القياس
هذه.

ب) المرحلة الثانية (١٩٢١_١٩٤٤ م): وفيهما بدأ البحث التربوي ينمو بسرعة
لافتة للنظر، ومما ساعد على ذلك ازدياد نشاط المطابع وتسويق الأدوات البحثية؛

مما أدى إلى انتشار هذه الأدوات انتشارا واسعا، وانتعاش البحث العلمي وتطوره تطورا سريعا.

ج) اتسمت هذه الفترة الزمنية بتطور كبير في البحوث التربوية؛ ومن ثم تميزت باستمرار تطور البحث التربوي، وزادت على المراحل الأخرى بالتوجه إلى تقويم مناهج البحث ذاتها، وتنقيتها من الأخطاء، والعمل على تطويرها.

التعليم كنظام قائم بذاته يتطلب البحث في الجوانب التالية:

- مدخلاته: وتتضمن الأهداف المتوقعة، وطبيعة الطلاب فيه، والمناهج، والمعلمين، والمباني، والمعامل، والميزانية.
- العلاقات داخل النظام نفسه.
- مخرجات التعليم التي تتمثل في مدى تحقيق الأهداف ونوعية المتخرجين.

يمكن إيجاز مجالات البحث التربوي فيما يلي:

- ١- أصول التربية: وتحت هذا المجال يدرس الباحثون الأسس الفلسفية والنفسية والاجتماعية للتربية، وعلاقة التربية بالمجتمع، والسياسات التربوية، وقضاياها، ومشكلاتها، والتخطيط التربوي ... إلى غير ذلك من جوانب ترتبط بأصول التربية.
- ٢- اقتصاديات التربية: وتحت هذا الميدان تُبحث القضايا المرتبطة بتمويل التعليم والإنفاق عليه، والعائد الاقتصادي للتربية، ومدى إسهام التربية في التنمية الاقتصادية.
- ٣- النظم التربوية وإدارتها: وهنا تبحث القضايا والموضوعات المرتبطة بالنظم التربوية الرسمية وغير الرسمية، وكذلك القضايا الخاصة بالتنسيق بين المؤسسات التربوية على اختلاف مستوياتها، وتطوير الأساليب الإدارية التربوية والتعليمية ووسائل ذلك.

٤_ التربية المقارنة: وفي هذا المجال يدرس الباحثون كل ما يرتبط بعملية التربية في مجتمعات مختلفة، وبخاصة المجتمعات المتقدمة؛ بهدف الاستفادة من هذه الدراسات في تطوير التربية وإثرائها في البلد الذي ينتمي إليه الباحث.

٥_ المناهج وأساليب التربية وطرق التدريس: وينصبُ اهتمام الباحثين هنا على الأهداف التربوية والتعليمية والتدريسية، ووضع المقررات وتطويرها، وتخطيط الأنشطة الصفية وغير الصفية، وتنفيذها، وتقييمها، وتطوير طرق التدريس وأساليب التعلم ووسائله، وكذلك أساليب التقييم ووسائله.

٦_ التقنيات التربوية: وفي هذا الميدان يدرس الباحثون العينات التي من شأنها إنجاح التربية في تحقيق أهدافها، ومحاولة الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة في خدمة التربية، وتحقيق تعلم أفضل.

٧_ علم النفس: وهنا تدرس القضايا المرتبطة بمراحل النمو، ومشكلات كل مرحلة، وكيفية علاجها، وخصائص النمو في كل مرحلة، وكيفية التعامل معها. وغالبا ما تركز هذه الدراسات على التلميذ، فتدرس علاقة الميول والاهتمامات والاتجاهات بالعملية التربوية التعليمية، كما تهتم هذه الدراسات بالتقويم التربوي، والقياس النفسي، وتدرس سلوكيات لإنسان وتعاملاته، وتعمق في تفسير هذه السلوكيات وكيفية تعديلها.

ومن الجدير بالذكر أن اتجاهات البحث العلمي الحديثة تدعو إلى تحقيق التعاون بين الباحثين في هذه المجالات، والقيام ببحوث مشتركة؛ حيث إن تعدد الخبرات وتنوع التخصصات التربوية يحققان ثراء علميا في المجالات التي يدرسها الباحثون، ويعطيان نتائج أكثر صدقا؛ مما يعود بالنفع على تلك التخصصات.

معوقات البحث التربوي

هناك عدة معوقات تواجه _ عادة _ البحث التربوي من أهمها:

١ _ **قلة المخصصات المالية:** فالمال عصب أي مشروع، وتوفر المال اللازم مقوم

أساسي لنجاح البحث التربوي. ولكن نظرا لفقده الحماس للبحث التربوي

_ أحيانا - وعدم الاعتراف بأهميته في التخطيط ووضع البرامج للوزارات والجهات

المعينة ذات العلاقة بالتربية والتعليم؛ تقل المخصصات المالية للبحوث التربوية.

٢ _ **نقص التدريب على البحث التربوي:** فكثير من العاملين في الميدان التربوي

تتقصم الخبرة والمعرفة بالبحث التربوي. بل إن معظم إن لم يكن كل برامج التدريب

التي تقوم بها السلطات التعليمية في بلادنا العربية سواء أكانت للمعلمين أم غيرهم لا

تتضمن التدريب على البحث التربوي، ومن لديهم الخبرة بالبحث التربوي كأساتذة

الجامعات نجد أنهم منشغولون بأمر أخرى كثيرة تجتذبهم بعيدا عن البحث التربوي ولا

تمكنهم بصورة فعالة من تدريب طلابهم تدريبا كافيا

على البحث.

يضاف إلى ذلك أيضا أن المقررات الدراسية التي تطرحها الجامعات عن البحث

التربوي على قلتها لا تساعد الطالب على الإلمام الكافي بأصول البحث وقواعده بحيث

يستطيع أن يقوم بالتخطيط لبحث يقوم به بنفسه أو حتى تحت إشراف أستاذه، ومن

هنا كان من الضروري العناية بالبحث التربوي سواء في المقررات الدراسية الجامعية أو

في برامج تدريب المعلمين والمربين.

٣ _ **عدم الربط بين النظرية والتطبيق:** إن أهم مشكلات البحث التربوي يتمثل في

وضع النتائج التي يسفر عنها نوضع التطبيق وكثير من نتائج البحوث التربوية تظل طي

الكتب ولا تأخذ طريقها إلى التطبيق. وهناك أسباب كثيرة لذلك من أهمها عدم

معرفة طريقة التطبيق والتخوف من تطبيق أي شيء جديد ومقاومة المؤسسات التربوية

والعاملين فيها للتجديد التربوي بصفة عامة.

٤ _ **قبول نتائج البحث التربوي بدون تفكير أو نقد:** من الصعوبات التي تواجه

البحث التربوي قبول نتائج البحث التربوي بدون تفكير أو نقد.

والتسليم بها تسليما أعمى. فبعض البحوث قد تقوم على أساس لا يمكن الاطمئنان إليه. فالبحوث التي عملت مثلا على أساس اختبارات الذكاء وأثبتت وجود فروق في الذكاء بين مجموعات بشرية معينة قد أوجدت بلبله في الفكر التربوي مازال يعاني منه حتى الآن.

الفروق بين البحوث الطبيعية والبحاث التربوية:

إن هناك معوقات تحول بين البحوث الاجتماعية وبين تحقيق ذلك. ومن أهم هذه المعوقات ما يلي:

١_ **تعقد دراسة الظواهر والمشكلات التربوية:** فدراسة أسباب احضرار النبات مثلا أمر أيسر بكثير من دراسة مشكلة نفسية؛ ذلك أن الباحث في المشكلة الأولى أمامه عدد قليل نسبيا من العوامل الفيزيقية، لكن الباحث في المشكلة النفسية يجد أمامه كما كبيرا من الأسباب والمتغيرات لا على المستوى الفيزيقي فقط، ولكنها قد تكون اجتماعية أو جسمية، أو صحية، أو خاصة بالنمو، أو خليطا من هذا كله.

٢_ **صعوبة تكرار حدوث الظاهرة الاجتماعية أو استحالة ذلك:** فكثير من الظواهر الطبيعية يتكرر حدوثها؛ كالمطر، والرياح، والضوء... إلخ؛ ومن ثم يسهل تجريبها وصياغتها في صورة قوانين كمية دقيقة، أما المشكلات التربوية فتعالج قضايا محددة، ربما لا تتكرر أو يصعب تكرارها إذا أريد قياسها، وإن هي تكررت فإنها تكون مصطنعة وليست طبيعية؛ ومن ثم يشك في صدقها.

٣_ **صعوبة تحقيق الموضوعية في العلوم التربوية كتحقيقها في العلوم الطبيعية:** فعلاقة الباحث بالظواهر الطبيعية علاقة تخلو من العواطف والمشاعر الذاتية؛ فلا يجد الباحث نفسه مضطرا لمراعاة دوافع الماء أو الهواء مثلا ومشاعره، واهتماماته، وميوله، ونفسيته، كما يحدث في العلوم التربوية.

٤- **اختلاف التصرفات الإنسانية ووجهات النظر في تقويم السلوك البشري باختلاف المجتمعات:** فالحرية الشخصية _ مثلا _ في المجتمع المغربي تختلف عنها في المجتمع الإسلامي، أو المجتمع الشرقي المحافظ.

٥_ صعوبة التجريب والقياس في العلوم التربوية: ففي العلوم الطبيعية يمكن التعامل مع الظاهرة دون تلك القيود المعروفة عند التجريب في العلوم التربوية، إذ تقتضي الأخلاقيات والقيم حماية البشر من الأضرار الجسمية والعقلية والمعنوية أو أية أضرار أخرى؛ لذا لجأ التربويون إلى التجريب على الحيوان؛ ولا يخفى ما لذلك من سلبيات؛ إذ إن ما يعمم على الحيوان لا يعمم على الإنسان وبخاصة في الظواهر الاجتماعية والتربوية والسلوكية البشرية.